الخيمة

ممدوح السكاف

خيمة من سرادق الشمس طالعة
عند الصباح الطفولي
تزدهي بالضياء الموشى
والالق الراعش ،
عري المسافات في لحظها
والسحابات مذعورة
والنوارس هاربة من مضيق السماء،
والزوارق راسية عند الشواطيء
تنهدُ على نفسها ، متداعية
خيمة غربتها السنون
والدنس المدني
وزيف الحضارات ،
والبرقع المستعار ،
فعاشت في وحدة قاتلة
(لست وحدي
ضفائر البرق في جعبتي
والحكايا الجديدات
تحت حنجرتي
والصنابير مفتوحة فوق جرحي :
دم بلون الاسى
وسارية من عظام الايادي
ارتفعت في خضم السماء
كالجسر مندفعا
وسنبلة غضة
وقامة شاهقة
تلك مشنقتي الباسقة)
خيمة حطت من الكوكب الابجدي
ـ مسافرة في قطار المساءات ، كانت
ومدنفة، بالمواعيد، في المحطات، كانت ،
ومشغوفة بالرحيل المفاجيء كانت
على بقعة من الارض نائية مفردة ،
رفرفت بجنحي بداوتها
فأوغلت فيها ، كعشق الصحارى
دخلت معابرها ، خلسة
معبراً ، معبرا
كلص ، عريق اللصوصية
مندهش باكتشافاته ،
أبحث عن غرفة ، في فندق اثري
بهيج
يطل على الشارع الحافل بالضجة المشتكاة
والسرعة البشرية
خلف الحطام
فما توسمت ضوءا
بصيصا لرغبة جلدي بأرجائها
ومأوى لانملتي المستجيرة للمس
ولا سعدت بي أوتادها
ولا اخطرت حراسها
بمقدم ظلي
ولا عزفت لي نشيد الخيام
ولا سبرت لغتي العبقرية الهجس
ولا برأتني ،
ولا صالحتني
ولكنها حاججتني
كأني الغفاري
ـ ما كنته ـ
ابن هذا الزمان اللعين أنا
ابن صحرائه القائلة

* * *

ثم تلفت : ـ أما فيك ، كوز لاشرب
قات لامضغ
قعب من اللبن العربي لاحسو
دن لاسكر
خود ، رداح
تضاجعني ، في عراء الرمال
لازني
خيال يرحب بالقادم الغفل ،
بالطفل ،
بالمطر المنتظر
أما فيك عاطفة كالبشر ؟!

* * *

دخلت ، خرجت
وحيدا ،
حزينا ،
تقلبت في الفرق المشتهى
حرير اللدانات ،
رقص التوجع ،
غنج التشني ،
ارتعاش المفاصل
بؤس التنفس :
(آه ، تمهل علي
ولا تعتصرني
قطاة أنا ..
ورف العصافير ، ربعي
تمهل على شفتي
قليلا ، قليلا ، ولا تهتصرني
ابن هذي المدينة أنت
ـ أليس كذلك ؟
قل لي : ـ متى تفهمون
بأن الخيام اذا ارتحلت في المدائن
ضلت طريقا
وتبقى الخيام ؟!)
ونازعت حلمي
رغائب توقي
الى رحلة فذة
شراع على البحر يندلح
في غيابات جرح عميق
ببيداء روحي ، ينز
سماء من الزرقة الابدية
جمر كما الافق يدجو
احترقت به موعدا
في الرماد الشريد ،
وفي اللحظة الغافلة

* * *

... معلقة في الذراري
نهدت اليها على فرس أشقر العدو
في عتمة الليل
وبرد الصحاري
وهسهسة الرمل
تحت ضياء النجوم
فصدّت خطاي
فشفّعت حبي :
(بحق اندلاع الحنايا
بحق اشتعال المنايا
بحق بريق العيون

بحق اللظى والجنون
أميطي اللثام
وردي علي)
أعادت الي المهند والرمح
يوم افترقنا
عدوت على فرس
من تمائم السحر
فخل ، ورحت ألوح للربع ، خلفي
تعالوا ،
تعالوا ،
الى مشهد مستحيل التخيل ،
حثوا خطاهم
وصلنا الى ذروة الجبل الاخضر
المستهام
نعاجل أشواقنا والتعلات
الى جلسة الخمر والبوح والدمعة
العاجلة

* * *

خيمة طلقة
يغازلها البحر
يرنو اليها بأمواجه اللائبات
ويحضنها المد آنا
ويطلقها الجزر أخرى
وتسبح بالطين
يسألها البحر وصلا
فلا تستجيب
فيرتد في صمته الداكن
مزدردا بؤسه الزغبي
ومنفجرا
في غضبة هائلة

* * *

أراك على البعد مشلوحة
غرقت بأمواجك الطاميات
استرحت بخاصرتي برهة
بصلبي دهرا
وتحت النرائب
أفضيت ، يا زهرة الاقحوان
لي وللبحر ،
بالمواجع السمر ،
قائلة :
(يدخلون ، أراهم ، أراهم
بخيطان عيني
حومة الموت
واحدا علقته المنايا في الجدار
الاصم
المطل على المقبرة
مزقا من عظام ولحم
ورتبة عسكرية ملطخة بالدم الطهر
في المجزرة
واحدا طار رأسه كالشظايا
النثيرات
صار يجري وراءه جسدا مفردا
دون رأس
ويسأل عنه رفيقا له يحشرج في
النزع
واحدا أسلمته الرصاصات للموت
معتنقا صدر صاحبه
خائفا كفرخ حمام
في وليمة الصيد ، كانوا
أراهم ، أراهم ، أراهم
بخيطان عيني
واحدا واحدا واحدا
كلهم ميتون بغتة
كلهم ميتون
انها غلطة السادرين في قصور
متارفهم
يتركون الثعابين تسعى
بصلء الجريمة)
ناصلة كنت
راهبة ضافها الجوع دهرا
جاءك البحر في السر
وجئت أناجيك في الجهر
يا جثة ماثلة
أردت التفيؤ تحت دالية النهد
أشعلني الخوف
(قد يخنقون العصافير في لغتي)
تمنيت أن أستريح بمقصورة الدفء
في مرج بواديك، من زمهرير بأعصاب
قلبي
ينث (ترددت : هل يغسلون دماغي،
ويخصون لي شهوتي) ارتميت على
ضفة حتها الموج
أريد اغتسالا وبرءا
من الشك والوهم ،
أبغي ارتحالا بأغوار ذاتي
أضاءة ليلي
بقنديل صدق
أود اعتناقا مع الفجر ،
صحوا مع الشمس ،
ركضا مع الريح ،
ريح البوادي ، تغمغم في مسمعي
زئيرا وتعوي ،
وتعوي ،
وتعوي :
(ــ تمهل عليها
ولا تسرف الحب
هاود
وباعد
وكابد
وطأطىء على النزف قلبا
وابترد بالجراحات
طيب أنت
مضطهد في زمان الفجيعة
هش
ومستلب
بائد
ومستوحد
لا شيء ، يعنيك الاّ
يا غيمة قاحلة
تمهل عليها ...
الحبيبة ، كانت وتبقى
الوفية ، زلّت
وتبقى ،
النقية ، عابت
وتبقى
الصحيحة ، شلت
وتبقى ،
الحبيبة ، تبقى ..
الحبيبة تبقى
الحبيبة تبقى
وأنت الحبيب اليها
وأنت الصدى في يديها ..
يد .... يها
يد ..... يها ! ...

حمص